القصص

دراسة من اسخيلوس

٢ ـ المتضـــرعات

The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبه

— ٧ —

وصمت الأب دانوس ، وغمرت الفتيات موجة أثيرية من الفرح ، وتقدمن نحو الآلهة يصلين ويهزجن ، وينظمن الشكران عقودا من جمان دموعهن فيجعلنه قلائد على جيـد آرجوس ، ويدعون للملك بالمجد ، ولمدينته الخالدة بالنصر والعز والتأييد

وما يكدن يفرغن من صـلاتهن وانشادهن ، حتى يثب أبوهن الشيخ المهالك وثبة قوية ... ويقف على شرف من حرم الآلهة المقدس ، ثم يرسل فى اليم المضطرب نظرات حائرة من عينيه الغائرتين ... كمن ينظر فى كتاب الغيب ! !

— يالهول ! أصمتن يافتيات ... أصمتن ! إن الزمن يسوق الينا أحداثه فوق أعراف الثبج ... أنظرن ! ؟ إنها تقترب منا رويدا رويدا ! واحربا يا بناتى البائسات ؟ ! سفينة مصرية لا ريب فى ذلك ! آه ! إنها من سفائن اللعين إيجبتوس ! لاشك ! لا شك ! ها هى ذى قلاعها وشراعها ! كابية كوجهه ، كاسفة كقلبه ... وى ! لقد طوى اللاحون الشراع ، وأعملوا سواعدهم فى المجاديف ! إنها ما تفتأ تقترب ! ولـكن ! لا عليكن يافتيات ! لا عليكن أبدا ! إن لـكن من هؤلاء الآلهة ذادة ، وان لـكن منهم حماة أبية ! ويل لمن يستهزئ بأرباب الأواب وأى ويل ؟ إن له لساعة تشيب من هولها النواصى ! لقد تدم الأوغاد يطلبونكن لمتعة الوحوش الذين لا يخشون الآلهـة ولا يرعون حدود السماء ... لا .. لن يكون هذا أبداً ... »

وترتعد فرائص الفتيات ، وتقول كبراهن :

— « أبتاه ! إنا لنـذوب من فَرَق يا أبتاه ! يا للفزع الأكبر ! ماذا أفاد سفرنا الطويل ، وغربتنا النازحة ؟ لطالما انتعلنا الدماء ، وضربنا غوارب الماء لنكون بنجوة ، فأين النجاء ! أبتاه ! إنا نذوب من فرق ... »

— « اطمئن قلوبكن يا بناتى ، فلقد صمم الأرجيف البواسل أن يحاربوا إلى آخر قطرة من دمائهم من أجل قضيتكن ... إهدأن ! اهدأن فهذه الآلهة تحميكن ! »

— « وهل يصير الأرجيف المترفون على شياطين ايجبتوس يا أبتاه ؟ انظر ! لقد جمعوا اللاذم من محاربى مصر .... فمن لنا ! من لنا ! ؟ »

— « إنكن لن تلبثن أن ترين الأبطال المقرنين فى الحديد المقنعين فى الزرد ، فلا تهلعن ! »

— « ولـكن ... لتقف معنا يا أبتاه ! لا تتركنا ! فنحن أضعف من أن نشهد المعركة ! إن هؤلاء القادمين فى السفينة الغبراء وحوش يحملون قلوباً خرساء ... ولن يثنيهم أن يشهدوا هذه الآلهة ، إذ هم ضوارى ليبيا ، لا يعرفون قرباناً ولا مذبحاً ولا شريعة ، ولا يرهبون آلهة ولا يوقرون أوثاناً ! »

(يهم دانوس أن يغادر بناته ، فتقول كبراهن :)

— « أبتاه ! الى أين ؟ لن تغادرنا ... لن تغادرنا يا أبتاه »

— « تلبثن يا فتيات ولا ترهبن شيئاً ! إنهم لا بد لهم من وقت طويل حتى ترسو سفينتهم ، وينزلوا الى البر ويربطوا أمراسها فى صخرة أو جذع ... وقد لا يجدون مرفأ هنا فيقلعون الى مكان بعيد ... اهدأن ... لا تفزعن هكذا ! ما هذا الفزق ! تلبثن هنا حتى أعود بجيش الأرجيف أو بعدد من پيلاسجوس ! لقد وعد ! لقد وعد أن يحمينا ، وأيده الشعب كله فى ذلك ..... تلبثن ..... لا تفزعن ..... ولا تذهب قلوبكن شعاعا ! »

(يخرج دانوس)

— ٨ —

وتهلع الفتيات ويتفزعن ، ويتضرعن الى الآلهة أن تنقذهن من ذلك البلاء المنتظر ، ويرسلن أنشودة طويلة حزينة ...

والسفينة تقترب !

وهى كلما اقتربت وجفت نفوسهن ، وخفقت قلوبهن ، وتبلبلت أفكارهن ، وتعلقن بالدمى المرمرية التى ... تثلجت حتى ماتمس ... وتحجرت حتى ماتمى ...

وغابت السفينة عن الأنظار جأة .. ولكنها غابت لترسو ..

وطفق الفتيات يهزجن ... ويصلين ... ويبكين ...

— ٩ —

(يدخل القائد المصرى)

— « سو ... ش ... اصمتن يا فتيات ! حذار ألا تطعن ! هلم الى سيف البحر ، فاركبن فى السفينة معنا ! أسرعن ! لا تقاومن ، وإلا حملناكن بالقوة ! أسرعن ، وى ! أنتن لا تتحركن ! أسرعن يافتيات ! إن لم تسرعن فستحل بكن نقمة ! سنشدكن من شعوركن ونجركن على الثرى والأحجار حتى تدمى جسومكن ! الى البحر ... الى البحر ! »

(ويقبض الجنود فيدافعون الفتيات فتقول كبراهن :)

— « ويل لكم أيها الضوارى وويل لأميركم ! ليت هذا الخضم ابتلعكم قبل أن تصلوا إلى هنا ! »

— « أنصح لكم يا فتيات ألا تقاومن ! إنكن ضعيفات ، وللقوة أن تصنع ماتشاء بكن ! دعن هذه المجالس حول هذه الآلهة التى لابد أنها تسخر منكن ! ستحملكن السفينة الى أوطانكن فالحذار من المقاومة ! »

— « كلا ! لن نعود الى جنة الأرض وجحيم القلوب ! الفردوس الذى يفيض كل سنة دماً يصهر العاطفة ويحرق الضلوع ... ... »

— « وبعد ، إننى مرغم إذن على استعمال القوة المطلقة التى يخولنيها الأمر الذى بيدى ! سأنزعكن من مقاعدكن فى هذا الحرم ! سنجركن من شعوركن وخمركن ، ونبحر بكن برغمكن ! »

— « أنت تهرف كأن عيون السماء مغمضة عنك ! كأنك إذا كنت وسط اللجة لم تخش شيئاً ! أيها الكافر بالآلهة ! »

— « ولولن ماشئتن ! إدعين آلهتكن ، وسنرى هل تهرع لمعونتكن !! أبداً لن تهربن من يدى ايجيتوس أبدا ! إنه كالهواء مدركنكن أنى وجهتن ! فولولن واصخبن ! وأعولن وابكين تعاستكن ! »

— « ثم ماذا ؟ زدنا من وقاحتك ياابن النيل ! بذاء ! أيها المسخ ! ياربيب التماسيح ! ليتها تطعمت بك ، أو خلت ثناياها بلحمك قبل أن تجيء إلى هنا ! »

— « سو ... ش ... كفى ! حسبكن صراخاً ! إن لم ترضخن ... فشعوركن تحكم بيننا وبينكن ! سنجركن منها إلى السفينة بافتيات ! »

(يهم الجند أن يجروهن !)

— « أباتا ! أين أنت يا أباتا ! الغوث الغوث ! هذه العناكب الملتطة ! يا أمنا الأرض ! يا أباتا زيوس ! عونك يا آلهة ! ياسيد الأولمب ! نحن حفيدات يو !! أدركنا ! إدفع عنا هذه الضوارى ! »

— « عبثاً تستصرخن آلهتكن يا فتيات ؟ هى ليست لنا بآلهة ! فنحن لا نرهبها ولا نخشاها ! إنها لم تنشئنا ، ولم تخلط بقلوبنا ... نحن لا نباليها ! »

(يجرها من شعورها)

— ويلك أيها اللئيم ! يا أفعوان النيل ذا الأنياب ! أغرب فلست أنفى مثلك أيها الأرقم ! العون العون ياسيد الأولمب ! زيوس يا أبى ! أدركنى أستلحلمك بأمك ربة هذه الأرض ! »

— « أسرعن إلى السفينة إذن ! وإلا ! فستندك عظامكن فوق هذه الآطام ! أطعن يا فتيات فهو خير لكن ! »

— « ياسادة آرجوس ! أدركننا يا أرجيف ! أيها الأوفياء ! »

— « بل سادة مصر ! أبناء ايجيتوس الكرماء ستلقينهم وشيكا ياعذارى ! »

« يا ملك آرجوس الكريم ! الغوث ! لقد وعدتنا ! بيلاسجوس ! »

— « طالما تأبين ، فشعوركن تطيعنا ، وهى أطوع لنا منكن ! »

(يجرونهن على الحجارة بشدة فيدخل الملك)

— ١٠ —

— « وَىْ ! من أولاء ! من الجاثمون خلال مماسكة بيلاسجوس ، العائنون فى جنبات آرجوس ، غير البالين بحرم الأرباب ! من أنتم يا هؤلاء ؟ هل هانت عليكم آرجوس فأنتم

تأدبكون ... سها غير هيابين ! مالكم ولأولئك النسوة ! ... ركون ألسنتكم بالفحش ، وتسلقونهن بالهجر ! ؟ مالك لعدالة تحميهن أيها الحق ! »

— « أى هجر وأى فحش ، ماذا صنعنا بهن ! »

يا للآلهة ؟ أنت أجنبي وقد نزلت بلاداً غير بلادك ، فكيف ضللت سبيل الحسنى ؟ ! »

— « أجل : ولكنني أجنبي قد عثر بضالته المنشودة ، ورجيته المفقودة

— « وأية قوة هنا تملك ، فتسندك ! »

— « أنا أحتكم إلى هرمز ، حامى الغرباء ! »

— هرمز ؟ ! أمرك عجب وحق هرمز ؟ لقد دنست حرم الآلهة جميعا ! »

— « بل أنا أدين للنيل ... حابى ! ... [1] وأعبد آلهة النيل ! »

— « إذن فلا اعتبار لآلهة آرجوس عندك ؟ »

— « اذا كان منها ما يحول بينى وبين ضالتى ... والا ... فسأمضى بسيدى »

— « ارفع يدك عن الفتيات ... والا ... فسرعان ما تندم ولات حين مندم »

— « كأنى بك تشيع الكرم فى عباراتك ! »

— « لا كرامة ولا بشاشة لمن دنس الحرم المقدس ! »

— « قل ماشئت ، فالجلة الأمراء من أبناء ايجيتوس ... آ ... أجل ... سأذكر لهم كل شىء »

— « لا يعنينى أن تنقل اليهم أى حديث منى ! »

— « عجبا ! وكيف ؟ إذن نبئنى ماذا أقول له كرسول منه اليك ! يبدو لى أن مارس [2] وحده سيحكم بيننا وبينك ، وعندها ، يعرفنا أينا من يندم ولات حين مندم ! هؤلاء بنات عمهن ، وقد جئت من أجلهن ، فكيف أعود بدونهن ! لم نسمح للغضب أن يروى دماءنا ! يا للأرواح البريئة ! ثم . من أنت ؟ »

— « غداً تعرف من أنا ، أنت والعصبة من رفاقك ! ولكن ... لن نسمح لك أن يصطحبك أولئك الفتيات إلا إذا رضين هن ذلك ... فلن يذهبن معك برغمهن ... إن مملكتنا كلها تؤيدهن وتؤازر حقهن ، ولن تسلمهن لقوة مهما عتت أو لجبروت مهما طغى ! إن لنا لقانوناً أقدس ، لم ينقش فى صخر ، ولم يسطر فى بردى ، فاسمعه من فمى ، واغرب من أمامى ! »

— « وى ! لقد ضمنت كلمتك اعلان الحرب علينا فمن لك برجال يضمنون لك النصر ؟ ! »

— « غدا يملأ الرجال السهل والجبل وشطئان هذا الخضم رجال ... مذاويد ... لم يدنسوا أفواههم بجمة الشعير ولا بنبيذ الثمر ... أغرب يا أحمق ! » [1]

(ينسحب المصريون)

— ١١ —

« وأما أنتن يا عذارى فلا ترهبن شيئاً فى الوجود ما دمتن معنا وبين ظهرانينا ! إن آرجوليس كلها ستحميكن وستكافح عنكن ، فهلم الى قلعتها العتيدة ، إن لكل مكن فيها حصنا أمنع من النجم ، وآمن من السماء ! فقرن فى غرفاتكن ثمة ، فهى أخلق بكن ، وأطيب إلى نفوسكن ، وأروح عليكن ... على الرحب والسعة يا عذارى ! إنى وشعبى نفتديكن ، فقرن هينا وطبن نفسا ... »

— « بوركت يا خدن الأرباب ، جزاك سيد الأرباب عنا خيرا ، وكتب لك ولملكتك السلامة ، وجملك وجملها بنجوة من غدرات الأيام ، وبدوات الزمان ! ... أيها الملك ! لقد غمرتنا احسانك فنحن ندين لك بهذه الأرواح المفزعة ، والنفوس المروعة ، التى أذهبت عنها الشجو وجلوت ما بها من حزن ! أباما أيها الملك ! إنه رجل شيخ حطمته الآلام ، وغامت على صدره الخطوب ... إيذن له يصحبنا الى منازلنا ، ويهيىء لنا جوارنا ، ويتخير لنا أولياءنا ذلك أدنى الا يأسى أو يحزن ! (ويوجهن القول الى وصيفات الملك) أما أنتن أيها الوصيفات فرشدننا إلى حيث يدلكن أبونا ... وابشرن ! فسيهب كلا منكن أمتنا جزاء ما خدمتننا وسهرتن علينا »

— ١٢ —

(يدخل دانوس)

— « أحمدن الملك ، وصلين للآلهة يابناتى ! القرابين والضحيات الحمر ، إنا ندين للأراجيف البواسل بأرواحنا ما فى ذلك من شك ، فقربن لآلهتهن القرابين ، وقدمن الضحيات ! الثناء لهذا الملك الكريم يا فتيات ، فلقد أنقذنا من الذبح ونجانا من الفضيحة ... حمداً له ، حمداً له وشكراً ! !

(١) إله النيل (٢) إله الحرب

(١) هذا حديث يدل على ما كان لمصر من ذكر وصولة فى هذا الزمان !!